اسباب وفاة الخديوي المغفور لهُ

محمّد توفيق باشا

قد رأينا ان نذكر هنا اسباب وفاة الفقيد العزيز مأخوذةً عن اصحّ المصادر واصدق الروايات ونثبت ايضاً تقريرَي الاطبآء بشأنها تعميمًا للفائدة — فنقول

كان الجناب الخديوي المغفور لهُ محمد توفيق باشا قويَّ البنية سليم الجسم شديد الحرص على رعاية صحتهِ لعلمهِ — رحمهُ الله — ان صيانة الصحة من اهم الامور الواجب المحافظة عليها خصوصاً عند كثيري الاشتغال بالمسائل العقلية والشؤون الفكريه. وكانت ظواهر حالتهِ الصحيه تدلُّ على انهُ من طويلي الحياة وكثيري الاعمار نظرًا لقوّة بنيتهِ ورعايتهِ لشؤون صحتهِ

وقد خرج — رحمة الله عليه — من قصرهِ الخديوي الكائن بمدينة حلوان وذلك بعد ظهر يوم الخميس ختام عام ١٨٩١ (غاية جمادى الاولى عام ١٣٠٩) وتجوَّل خارج المدينة ترويحاً للنفس وتنزيهاً للفكر من عنآء الاشتغال . وكانت صحتهُ على غاية ما يرام من تمام السلامه وكمال العافيه. ثم عاد عند الغروب الى قصره المشار اليه وبعد وصوله بمدة يسيرة شعر ببردٍ خفيف خلافاً للعادة فلم يعبأ به بادئَ بدءٍ الى ان احسَّ باشتداد البرد

اكثر مما كان يشعر به قبلاً فشرح الحالة الى الاطبآء فوصفوا له العلاج اللازم بحسب مقتضيات الحالة واشاروا عليه بالبقاء في القصر الخديوي تحرُّزًا

وفي يوم الاثنين الواقع في ٤ يناير سنة ١٨٩٢ (٤ جمادى الثانية سنة ١٣٠٩) زال عن الامير المشار اليه ما كان ملمًّا بمزاجه الشريف من الانحراف الخفيف وعادت اليه العافية التامة فاراد ان يبارح القصر الخديوي ويتنزَّه قليلاً خارج ذلك القصر فاشارت عليه الاطبآء بالعدول عن العزم وملازمة القصر يوماً او يومين رغبةً في زيادة التحفظ والتحرُّز فامتثل رحمه الله الى هذا الرأي لما راى فيه من الاصابة والاصالة

وفي يوم الثلاثاء ٥ يناير (الموافق ٥ جمادى الثانية) عاد الامير فشعر بشيء خفيف مما كان يشعر به من الالم قبل اليوم البارح فكاشف الاطبآء بالامر فعالجوه بالوسائل الطبية ولكن ذلك لم يمنع اشتداد انتكاس الدآء فقضى الامير ليلة الاربعاء على طُولها الشتائي وطَوْلها المرضي واصبح النهار وهو يشعر بزيادة الألم واشتداد وطأة المرض عليه فاجتهد الاطبآء في تخفيف الآلام ومداواة الدآء ولكن على غير جدوى . وفي اوائل ليلة الخميس كانت حالة الامير قد زادت اضطراباً وارتباكاً رغماً عن الوسائل التي اتخذها الاطبآء . وبعد منتصف تلك الليلة بقليل دعت الحالة الى تشكيل لجنة طبية استشارية فدُعي كلٌّ من الدكتور كومانوس والدكتور هيس لقيامهما من مصر الى حلوان على جناح السرعة فسار بهما قطارٌ خصوصيٌّ عند الساعة الرابعة (على حساب الميقات الافرنكي) من بعد منتصف تلك الليلة فشاهدا الامير في حالة اضطراب شديدة وهو يشكو

ويتألم من صعوبة التنفُّس فهالهما هذا الامر واندهشا من بلوغ الشدَّة الى تلك الدرجة ثم اسرعا بوصف العلاج الذي اقتضته حالة المرض وعادا الى مصر بعد ان مكثا برهةً بجانب الامير. وعند الساعة الاولى من بعد ظهر يوم الخميس المذكور عاد الطبيبان الموما اليهما الى حلوان فعاينا ان حالة الامير زادت عن قبل تقدماً الى جهة الخطر بما قطع آمالهما من الشفاء. على ان ذلك لم يمنعهما عن متابعة المعالجة ولكن واأسفاه على غير فائدة الى ان كانت الساعة ٧ والدقيقة ١٧ (على حساب الميقات الافرنكي) او الساعة ١ والدقيقة ٥٦ (على حساب الميقات العربي) من مساء يوم الخميس ٧ يناير سنة ١٨٩٢ (الموافق ٧ جمادى الثانية سنة ١٣٠٩) وحينئذ انقضى الامر وانطفأ نور حياة الامير بخروج السرّ الالهي فصعدت روحه الظاهرة الى الله ذي الجلال والكمال راضيةً مرضيةً بما وفَّقها الله سبحانه وتعالى الى اتيانه من البر والاحسان وارشدها الى عمله من الخير والمعروف.

وما فارقت روح المفقيد جسده حتى قامت قيامة الاحزان وثارت ثورة الاشجان داخل القصر الخديوي الذي كان فيهِ عدد غير قليل من كبار القوم ذوي المراتب السامية والمناصب العالية نذكر منهم حضرة دولتلو البرنس حسين باشا كامل شقيق الفقيد العزيز وحضرات النظار الكرام وفي مقدمتهم رئيسهم عطوفتلو مصطفى باشا فهمي وكلاً من الماركيز دو ريفرسو قنصل جنرال دولة فرنسا ووكيلها السياسي والسير افلن بارنج قنصل جنرال دولة انكلترا ووكيلها السياسي وغيرهم فأدهشهم المصاب واثر في نفوسهم تاثيرًا مبرِّحاً ولا سيما دولتلو البرنس حسين باشا فان تباريح الأسى قد